تبيُّن الزيارة الأربعين وآثارها الاجتماعية من منظور علم الاجتماع

أ. شمس الله مريجى

قسم العلوم الاجتماعية – جامعة باقرالعلوم عليه السلام

mariji@bou.ac.ir

الملخص

إن زيارة الأربعين الحسيني أصبحت تدريجياً منذ الأربعينية الأولى بعد تلك الحادثة الأليمة والمفجعة وزيارة جابر بن عبدالله الأنصاري ومن خلال الدعم الكلامي والعملي للأئمة المعصومين عليهم السلام من العناصر المؤثرة في الثقافة الشيعية وتحولت إلى قاعدة اجتماعية في المجتمع الشيعي والإسلامي وحظيت شمولية أكبر في العقود الأخيرة حتى أصبحنا نشاهد حضور أتباع الديانات الإبراهيمية بين زوار الأربعين.

بلا ريب إن دراسة هذا الحدث الإجتماعي العظيم من خلال المناهج المختلفة بإمكانه أن يزيح الستار وأن يظهر للمجتمع البشري والديني ولا سيما الشيعي ما تنطوي عليه هذه الزيارة من فوائد مادية ومعنوية.

إن المؤلف يسعى في هذه البحث، أن يتناول هذه الحقيقة الاجتماعية المذكورة من خلال منهج علم الاجتماع، وبطريقة الإسناد والإستفادة من الشواهد المستندة والمعطيات الحقيقية، ولكي يتمكن أولاً من تحديد وجوه هذه الزيارة من منظور علم الإجتماع، ومن ثَمّ إظهار الآثار الاجتماعية المهمة لهذه الزيارة وبذلك قد يكون خطى خطوة صغيرة في تعريف هذه الحقيقة النورانية؛ والأهم منها هو تسجيل اسمه في دفتر المحبين الحسينيين والزائرين الأربعينيين إن شاءالله.

كلمات مفتاحية: الزيارة، الأربعين، علم الاجتماع، الآثار الاجتماعية، المسيرة الأربعينية.

Explaining the fortieth visit and its social effects from the perspective of sociology

pro. Shamsullah Muriji

Department of Social Sciences - Baqir Science University

Abstract

The fortieth Day Visit "Arba'een Visit" has gradually become an effective element in the Shi'ia Culture and it turned into a social rule in the Muslim society, and particularly Shi'ia society, and during the few recent decades even followers of Abraham religions (mainly Christians and Sabean) started participating in the visit rituals, this historical progress in the visit started since the very first Fortieth Day commemoration of Imam Al-Hussain (peace be upon him) after his martyrdom when Jaber bin Abdullah Al-Ansari visited Imam Al-Hussain's (peace be upon him) holy tomb, as this visit and similar deeds of devotion to the holy Imam Al-Hussain were supported by the words and actions of the infallible Ahl al-Beit Imams' (peace be upon them).

Undoubtedly, the study of this great yearly social event (of the fortieth Day Visit) through various methodologies can unveil the material and moral benefits of this visit, and can demonstrate those benefits to societies including religious ones, especially Shi'ia.

In this research, the author seeks to address this sociological reality through the methodology of sociology itself, using attribution and utilization of evidence-based real data (input), and this to first be able to determine the facets of this visit from the perspective of sociology, and then to demonstrate the important social effects of this visit. This attempt could form a small step on the route of defining this luminous truth, and more importantly with respect to the researcher, is to have his name registered in the book of fondness of Imam Al-Hussain and amongst the visitors of his holy Shrine during "Al-Arba'een Visit" (hoping that God would permit this).

Keywords: visit, the fortieth Day Visit, sociology, social effects, march of the Fortieth Day Visit.

المقدمة

انطلاقاً من أن الأربعين الحسيني هو حادثة تاريخية هل يمكننا أن ندرس هذه الحادثة والتاريخ من حيث المبدأ من خلال علم الاجتماع؟ هناك وجهات نظر أربع؛ تؤكد وجهة النظر الأولى عدم العلاقة بين علمَي التاريخ والاجتماع وتعتقد أن الأحداث والأشخاص في الماضي ليس لهم ارتباط بالحاضر وبتفكيكها التاريخ عن المجتمع تنكر نوعاً ما الامتداد الاجتماعي ولا تقبل بنتائج تحليل الحوادث الحاضرة بالنظر إلى الماضي.

على سبيل المثال إن الأنثروبولوجي الفرنسي (ليفي ستروس)[١] يؤكد عدم ارتباط التاريخ بعلم الاجتماع، إذ إنه يعتقد أنَّ لكل مجتمع ثقافته وقوانينه الخاصة به ويرى أن المجتمعات متباينة بالذات؛ لذلك بنظره لا يمكن أن نعمم ثقافة مجتمع معين أو قانونه على المجتمعات الأخرى إذا لم يكن بينها علاقة تفاعلية[٢].

أما وجهة النظر الثانية، فضلاً عن إذعانها بالعلاقة القائمة بين التاريخ وعلم الاجتماع تعد التاريخ الأم لعلم الاجتماع وأداة لمعرفة المجتمعات البشرية وتعتقد بحصول النقص في علم الاجتماع إذا فقدت هذه الأداة؛ لذلك فإنه يجب علينا أن نطالع تاريخ أي مجتمع إذا أردنا أن نحيط علماً بحاضره وإلا فإن علم الاجتماع سيكون من دون أداة.

أما وجهة النظر الثالثة فهي بالمقابل من هذه الوجهة وتعتقد بأفضلية علم الاجتماع على سائر العلوم وترى أنَّ علوم التاريخ والنفس وغيرها إنما هي تابعة لعلم الاجتماع ولو لم يكن علم الاجتماع[٣]. فإن التاريخ الذي يتكفل ببيان الأحداث وهذه الأحداث كالأعداد المبعثرة وتشبه حبات المسبحة التي لا يوجد أي انسجام بينها إذ إنَّ مجرد وجود هذه الحبات لا تكفي لصناعة المسبحة بل يجب أن يكون هناك خيط يجمع هذه الحبات لتكون المسبحة أي في الحقيقة إن علم الاجتماع ينظم المعطيات التاريخية ويقيم بينها ترابطاً ويهيء الأرضية للاستفادة منها.

هناك وجهة نظر رابعة تؤكد وجود علاقة بين التاريخ وعلم الاجتماع. في هذه الوجهة هناك علاقة ثنائية بين علمي التاريخ والاجتماع وبدل تأكيد وجود تباين وتضاد أو علاقة من جانب واحد ترى هذه الوجهة وجود نوع من الاشتراك بين هذين العلمين؛ أن تقرأ التاريخ وتعيد بناءه وتحليله من أجل صناعة الحاضر والمستقبل، وإن سماحة آية الله جوادي آملي يعتقد أن التاريخ يكون مفيداً عندما يصبح سبباً للامتداد الاجتماعي وتحليل سلوك المجتمعات وبهذه النظرة اليوم يناقش موضوع الامتداد الاجتماعي في الفقه[٤].

من وجهة نظر العلمانيين إن مسيرة الأربعين لا تخضع لمعايير البحث في علم الاجتماع لذلك نرى تعتيماً واضحاً من الإعلام الغربي والصهيوني لهذه المراسم وصورها ويسعون الى تحجيم هذه الشعيرة ويحاولون اختصارها بنوعين من التفاعل: أولها التفاعل المبتني على الأهداف المادية وثانيها التفاعل المبتني على العاطفة، ويقولون ماهي إلا هذه الحياة الدنيا فلذلك يعدون التفاعلات المبتنية على الأهداف الإنسانية تفاعلات تتعلق بهذا العالم لا العالم الآخر؛

إنَّ هذه الوجهة التي تستقي جذورها من أفكار نيتشة الذي يعتقد أن الله سبحانه وتعالى ميّت، ولكن التفاعل الأربعيني لعشاق سيد الشهداء عليه السلام تفاعل يبطل وجهة نظر هؤلاء الذي يعتقدون بمبادئ نيتشة إذ إن حركة الأربعين العظيمة تحيي الصرخة التي تقول بحياة الله سبحانه وإنَّ هذه الصرخة تشكك في جميع مبادئ الفكر العلماني.

وبحسب اعتقاد المؤلف، فإن زيارة الأربعين بوصفها حادثة تاريخية وزيارة جماعية تظهر على شكل المسيرة الأربعينية هي بمنزلة تفاعل هادف وهدفه هو هدف سامٍ وإلهي إذ إنه يشكك في أساسيات الفكر العلماني حول علم الاجتماع، لذلك نرى بعض المحققين الاجتماعيين العلمانيين يقومون في مراكزهم العلمية والأكاديمية بترويج الفكرة القائلة إن هذه المراسم ليس لها مكان في أبحاث علم الاجتماع؛ في الواقع إنَّ علماء علم الاجتماع لعجزهم عن تحليل هذه الحادثة العظيمة ينكرون أصل الحدث بالالتفات الى الخلفية العلمانية لعلم الاجتماع في بلدنا فإن التعتيم على هذه المسيرة وعدم إعطائها حقها من التحليل والتحقيق هو في الواقع هروب من وظيفة علم الاجتماع.

على كل حال إن المؤلف في هذا البحث بوصفه باحثاً اجتماعياً لا يعتقد فقط في إمكانية تحليل هذه الحادثة التاريخية من منظور علم الاجتماع بل يسعى الى تحليلها من منظوره وتبيين آثارها الاجتماعية. فيجب في الوهلة الأولى أن نبين أصل هذه الزيارة وماهيتها وأهميتها من وجهة نظر الأئمة المعصومين عليهم السلام.

أهمية زيارة سيد الشهداء عليه السلام

إن زيارة الأئمة المعصومين عليهم السلام في الثقافة الشيعية تحولت إلى سلوك اجتماعي بفضل الدعم النظري والعملي للأئمة المعصومين عليهم السلام وقد حظيت زيارة سيد الشهداء باهتمام بالغ ورواية ابن قولويه القمي عن الإمام الصادق عليه السلام خير شاهد على ما ذكرناه يقول عليه السلام: «وَكَّلَ اَللهُ بِالْحُسَيْنِ عليه السلام سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ كُلَّ يَوْمٍ شُعْثٍ غُبْرٍ وَيَدْعُونَ لِمَنْ زَارَهُ وَيَقُولُونَ رَبَّنَا هَؤُلاَءِ زُوَّارُ اَلْحُسَيْنِ اُنْظُرْ لَهُمْ وَاِفْعَلْ بِهِمْ». وعنه أنه من ترك زيارته راغباً عنه لا يحصد إلا الحسرة يوم القيامة بل سيعاقب أيضا والدليل على ذلك ما نقله الحلبي. يقول: قلت للصادق: «**جُعلتُ فِداك، ما تقول فيمن ترك زيارته وهو يقدر على ذلك؟ قال: أقول: إنّه قد عَقّ رسول الله صلى الله عليه وآله وعقّنا واستخفّ بأمر هُوَ لَه**»(٥).

وبحسب شهادة الإمام الصادق عليه السلام إذا كانت هذه الزيارة سيراً على الأقدام فإن الأجر سيكون مضاعفاً؛ إذ يقول للحسين بن ثوير بن أبي فاختة: «يا حسين، مَن خرج مِن منزله يريد زيارةَ قبر الحسين بن عليٍّ عليهما السلام إن كان ماشياً كتب الله له بكلِّ خُطْوةٍ حَسَنةً، ومَحى عنه سَيِّئة، حتّى إذا صارَ في الحائر كتبه اللهُ مِنَ المفلحين المُنجِحين، حتّى إذا قضى مَناسِكه كتبه الله مِن الفائزين، حتّى إذا أراد الانصراف أتاه ملكٌ فقال: إنَّ رَسول الله صلى الله عليه وآله يُقرِؤك السَّلامَ ويقول لك: استأنفِ العَمَلَ فقد غُفِرَ لك ما مَضى» وفي رواية أخرى: «إنَّ الرَّجل ليخرج إلى قبر الحسين عليه السلام، فله إذا خرج مِن أهله بأوَّل خُطْوَةٍ مَغْفرةٌ لذنوبه، ثمَّ لم

يزل يقدَّس بكلِّ خطوةٍ حتّى يأتيه، فإذا أتاه ناجاه الله تعالى فقال: عَبدي سَلْني أُعطِك؛ أُدْعُني أُجِبْك، أُطلب منّي أُعْطِك، سَلْني حاجةً أقضيها لك! قال: وقال أبو عبدالله عليه السلام: وحقٌّ على الله أن يعطي ما بذل» ويقول الإمام الصادق: «إنّ لله ملائكة موكّلين بقبر الحسين عليه السلام، فإذا همَّ الرَّجل بزيارته أعطاهم ذُنوبه، فإذا خَطا محوها، ثمَّ إذا خَطا ضاعَفُوا له حَسَناتِه، فما تزال حَسَناتُه تُضاعَف حتّى تُوجب له الجنَّةُ، ثمَّ اكتنفوه وقدَّسوه، وينادون ملائكة السَّماء أن قَدِّسوا زُوَّار حَبيبِ حبيب الله، فإذا اغتسلوا ناداهم محمّدٌ صلى الله عليه وآله: يا وَفْدَ الله أبشِروا بمُرافقَتي في الجنَّة! ثمَّ ناداهم أميرُ المؤمنينَ عليه السلام: أنا ضامِنٌ لِقَضاء حوائجكم ودَفْع البَلاء عنكم في الدُّنيا والآخرة! ثمَّ التقاهم النَّبيُّ صلى الله عليه وآله عن أيمانِهم، وعن شَمائِلِهم حتّى ينصرفوا إلى أهاليهم».

الأربعين في مرآة علم الاجتماع

لا شك في أن زيارة سيد الشهداء حظيت باهتمام الأئمة وبتبعهم شيعتهم أكثر من سائر زيارات الأئمة الآخرين عليهم السلام؛ ويؤيد ذلك سلوكهم وأقوالهم صلوات الله عليهم؛ ولكن لزيارة الأربعين خصوصية أخرى ولا يمكننا أن نتناول هذه الزيارة من بعدها التاريخي حسب، إذ إنها ليست مجرد حادثة تاريخية؛ لكي نهتم بأبعادها التاريخية فقط إذ إن لها أصلاً معرفياً وهذا الأصل المعرفي يمكن أن يكون موضوع بحث مهم في علم الاجتماع لقدرته على صناعة الهوية وإن الباحث الاجتماعي يستطيع من خلال علم الاجتماع أن يستقي من شهده الحلو ويضعه في متناول المشتاقين.

وعلى الرغم من أن جابر بن عبد الله الانصاري برواية أكثر المؤرخين هو أول زائر دخل الى كربلاء بصحبة غلامه عطية في اليوم العشرين من صفر لزيارة قبر شهيد نينوى بغض النظر عن السنة التي جاء فيها الى كربلاء أصبحت الزيارة في الثقافة الشيعية في ما بعد ممنهجة ومنضبطة فقد جعل صاحب الوسائل في المجلد الرابع عشر باباً تحت عنوان (باب تأكّد استحباب زيارت الحسين عليه السلام يوم الأربعين من مقتله وهو يوم العشرين من صفر) وعلَّم الإمام الصادق كيفية الزيارة للمحبين والمشتاقين لهذه الزيارة وقد نقل مؤلف كتاب مصباح المتهجد في المجلد الثاني الصفحه ٧٨٨ الزيارة كاملة.

وهناك مسألة جدير ذكرها والتأمل فيها ويؤكدها المؤلف هي أنه بالالتفات إلى الرواية المعروفة للإمام الحسن العسكري يمكننا ان ندعي أن زيارة الأربعين أصبحت من ذلك الوقت في الثقافة الشيعية عنصراً بارزا أو في الحد الأدنى رمزا خالداً، فحسب رواية الإمام العسكري عليه السلام إن زياره الأربعين إحدى العلائم الخمسة للهوية الشيعية عندما يقول عليه السلام: «علامات المؤمن خمس: صلاة إحدى وخمسين، وزيارة الأربعين، والتختم باليمين، وتعفير الجبين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم»[٦] وقد تقرر في محله أنّ المراد من المؤمن هو الشيعي.

إن الشيخ المفيد في كتابه المزار[٧] او الشيخ الطوسي في كتابه تهذيب الأحكام[٨] ومصباح المتهجد[٩] من خلال التمسك بهذه الرواية جعل فضل زيارة

الحسين يوم الأربعين كفضل زيارته يوم عاشوراء.

الزيارة الأربعينية قيمة اجتماعية

إذا أردنا أن ندرس زيارة الأربعين من خلال علم الاجتماع ووجهة نظر علماء علم الاجتماع علينا أن نبحث عن أبحاث علم الاجتماع لهذه الحادثة في المجال الثقافي، إذ إن بحسب وجهة نظر علماء الاجتماع، للثقافة عناصر ثلاثة، العنصر المعرفي والمادي والنظام المؤسسي. العنصر المعرفي يشمل القيم ووالأيديولوجيات والعلوم. والعنصر المادي يشمل المهارات الفنية والأدوات والوسائل المادية المتاحة لأفراد ذلك المجتمع. والنظام المؤسسي يشمل الإجراءات والأنظمة والقوانين التي يتوقع من أعضاء الفريق أن يلتزموها خلال نشاطهم اليومي[١٠] ولتبيين موقع الزيارة الأربعينية من بين العناصر الثقافية يجب أن نرى ما الدور الذي تؤديه في السلوك الفردي أو الاجتماعي أو في استقامة المجتمع؟ وبحسب الدور الذي تؤديه كيف يتم توصيفها؟ وهي في أي طبقة من الطبقات الثقافية للشيعة؟ بالالتفات الى آراء علماء الشيعة المقتبسة بلا ريب الأئمة المعصومين؛ يجب أن نعد زيارة الأربعين من قيم الثقافة الشيعية ودورها هو إخراج الأفراد من الحيرة والاعوجاج في السلوك الفردي والاجتماعي؛ عندها ستكون الزيارة حسب وجهة نظر علم الاجتماع من الطبقات الثقافية العميقة؛ إذ إنَّ للثقافة باعتقادهم طبقات متعددة والقيم هي التي تنظم سلوك الأفراد أو بتعبير آخر هي سراج الهوية السلوكية لأعضاء المجتمع ولذلك ستكون من الطبقات التحتية (العميقة). وفي الحقيقة فإن قوام المجتمع مرتبط بقوام هذه الطبقة.

إن القيم أو الطبقات التحتية، ليست فقط محرك المجتمع والأفراد بل إنَّ تعدد السلوك الفردي والاجتماعي مرتبط على نحو كامل بماهية هذه القيم وبنائها.

لآية الله جوادي آملي شرح رائع لأهمية زيارة الأربعين والذي يمكن من خلاله أن نظهر الجانب المعرفي لهذه الزيارة بصوره جيدة. يقول: الإمام العسكري يقول: علامات المؤمن خمس: صلاة إحدى وخمسين، وزيارة الأربعين، والتختم باليمين، وتعفير الجبين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم إذ إن المراد من الصلاة واحد والخمسين هي الركعات السبعة عشر الواجبة فضلاً عن النوافل التي تجبر النقص الحاصل في هذه الصلوات ولا سيما صلاة الليل عند السحر فهي مفيدة جداً. إنَّ الصلاة الواحدة والخمسين ركعة بالنحو الذي ذُكرت هي من خصوصيات الشيعة وهي هدية من معراج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد يكون سر وصف الصلاة بمعراج المؤمن هو أنَّ حكمها جاء من المعراج، وأنها تعرج بالإنسان.

إن الأمور الأخرى المذكورة في الرواية كلها من خصوصيات الشيعة؛ إذ إن الشيعة هم فقط من يسجد على التراب وكذلك ترى غير الشيعة من لا يجهر ببسم الله أو لا يقرأها إطلاقاً. وكذلك الشيعة هم فقط من يتختمون باليمين ويعتقدون باستحباب هذه الزيارة؛ وليس المراد من زيارة الأربعين زيارة أربعين مؤمن إذ إنها مسألة لا تختص بالشيعة وإن

(الألف واللام) في كلمة (الأربعين) تشير الى أن قصد الإمام العسكري هو زيارة الأربعين المعهودة عند الناس. ولا تكمن أهمية الزيارة الأربعينية في كونها من علامات المؤمن حسب بل إنها بحسب هذه الرواية وضعت الى جانب الصلوات الواجبة والمستحبة كما أن الصلاة عمود الدين والشريعة، فإن زيارة الأربعين وحادثة كربلاء هما عمودا الولاية.

بتعبير آخر بناءً على قول النبيﷺ إن القرآن والعترة هما خلاصة رسالة النبي، ولخلاصة الكتاب الإلهي، الذي هو دين الله، عمودٌ وهو الصلاة، وخلاصة العترة عمودها، زيارة الأربعين فذكرا في رواية العسكري إلى جانب بعض، والأهم من ذلك أن ندرك كيف أن الصلاة والزيارة يجعلان الإنسان متديناً.

إن الباري سبحانه وتعالى ذكر معارف كثيرة حول الصلاة فمثلاً يقول: إنَّ الإنسان بفطرته يميل إلى التوحيد ولكنَّ بطبعه إذ لو أصابه شر ويمنع إذ أصابه خيرٌ إلا المصلين ممن يملك نفسه ويمنعها من الهلع والجزع وطبيعة المنع هذه حتى تشمله الرحمة الإلهية الخاصة ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ إن زيارة الأربعين تمنع الإنسان من أن يكون جزوعاً وهلوعاً ومنوعاً ويقال إن الهدف الرئيس لسيد الشهداء هو تزكية الناس وتعليمهم ولم يأل جهداً في هذا الطريق من خلال البيان والعمل وكذلك من خلال بذل الدم وتحمل الأذى والتي كانت من أهم ما يميزه صلوات الله عليه[11].

تبين من خلال البيان العلمي للعلامة جوادي آملي أن لهذه الزيارة بعداً معرفياً ولأنها بحسب قول علماء الاجتماع سراج هداية السلوك؛ فهي من الطبقات التحتية للثقافة الشيعية؛ فلو لم يأتِ جابر بن عبد الله بصحبة غلامه عطية إلى كربلاء، لكانت زيارة سيد الشهداء يوم الأربعين زيارة مستحبة على الرغم من أن جابر قد حضر يوم الأربعين بلا شك وأن مضمون زيارة جابر مضمون قيم وعظيم ويحتوي على معارف عظيمة تنطبق على عمق العقائد الشيعية وتشير إلى المكانة المعرفية لجابر ولا نستبعد كون جابر قد أخذ أصل الزيارة والحث عليها في يوم الأربعين من الأئمةعليهم السلام ولذلك سعى أن يكون حاضراً يوم الأربعين في كربلاء.

المسيرة الأربعينية معيار اجتماعي

بالالتفات إلى تعريف علماء الاجتماع فإن الثقافة هي مجموعة منسجمة من العناصر المتعددة المقبولة من أغلب أفراد المجتمع والمنتقلة من جيل لآخر؛ إن القيم من العناصر المهمة والرئيسة إذ إن القيم هي معتقدات متجذرة يرجع إليها أفراد المجتمع أو الفريق إذا واجهوا أسئلة حول الخير أو الشر[12] في الواقع إن القيم تلعب دوراً مهماً في هداية المجتمع وكذلك في المنظومة الثقافية المنسجمة، فإن كل العناصر الثقافية الأخرى تتأثر بها بصورة مباشرة أو غير مباشرة ووجودهم إنما هو رهن وجودها وتظهر في المجتمع بوصفها معياراً فردياً او اجتماعياً والجدير ذكره في زيارة الأربعين هو أن هذا العنصر المعرفي للثقافة الشيعية اليوم من خلال تأكيد الأئمةعليهم السلام

ولا سيما الإمام العسكري عليه السلام قد أصبح عنصراً قيماً وقد أصبح الجانب العام لهذا العنصر بارزاً أكثر من قبل من خلال التفاعل الفردي والجمعي للشيعة. ويمكن القول إنه أصبح معياراً اجتماعياً بحسب علم الاجتماع. إذ إنَّ عشاق سيد الشهداء عليه السلام بحضورهم المليوني في مسيرة الأربعين لم يجسدوا هذه الحقيقة المعرفية حسب بل حولوها إلى معيار اجتماعي مهم في الثقافة الشيعية والإسلامية ويشهد لذلك حضور سائر الفرق والمذاهب الإسلامية وحتى غير الإسلامية في مسيرة الأربعين في طريق النجف إلى كربلاء أو في سائر الطرق المؤدية إلى كربلاء. إذ إنَّ المعيار في مصطلح علم الاجتماع هو نموذج سلوكي ينظم العلاقات والتفاعلات الاجتماعية[١٣]. إن المعايير في الحقيقة تظهر القيم في المجتمع؛ أي إن المعايير هي قواعد وآليات تحول القيم من مفاهيم ذهنية وباطنية إلى وجود خارجي متجسد على الأرض. إنَّ الزيارة الأربعينية بوصفها عنصراً معرفياً في الثقافة الشيعية تحتاج إلى قواعد وآليات تستطيع الظهور من خلالها ومسيرة عشاق الحسين في أيام صفر هي في الحقيقة تجعل من هذا العنصر المعرفي معياراً. ولهذا المعيار آثارٌ ظاهرة وباطنة نشير إلى بعضها في السطور الأتية:

الوظائف الاجتماعية لزيارة الأربعين

من وجهة نظر علماء علم الاجتماع إن لكل سلوك جماعي دوراً ووظيفةً في المجتمع قد يكون ظاهراً وقد يكون خافياً؛ فإن كان هذا السلوك يؤدي إلى تعزيز المجتمع أو تطويره أو تعقيده فهو أمرٌ إيجابي وإن أدى إلى التفرقة والاعوجاج فهو أثرٌ سلبي. في هذا القسم من البحث نريد تناول الوظائف الظاهرة والباطنة لزيارة الأربعين التي لها دورٌ أيجابي في المجتمع الإسلامي بل العالمي.

١. إيجاد الانسجام الاجتماعي

إن التاريخ يشهد أن الإنسان كان يعيش دائماً ضمن حياة جماعية وكان يفضل الحياة الاجتماعية على الحياة الفردية. ويعزو العلماء سبب ذلك إلى أمور كثيرة منها أن الفارابي المفكر الإسلامي العظيم يقول: «إن سبب ذلك هو سعي الإنسان للحصول على السعادة والكمال» ويعتقد أنَّ: «الحياة الاجتماعية هي التي بامكانها أن تجلب الكمال الإنساني للبشر. على الرغم من أن الحياة الفردية ممكنة إلا أنَّ تلك السعادة وذلك الكمال المطلوب لايمكن الحصول عليهما في الحياة الفردية»[١٤]. من هنا إن المفكرين قد اهتموا كثيراً بالمجتمع ومعرفة خصائصه وتكلموا على سر ماهيته وأكدوا أهمية معرفة خصائصه وعده فريق أنه موجود حقيقي وله ماهية مستقلة وآثار خاصة وأصر فريق أخر على عدّه مجرد جمع جبري للأفراد وتعود آثاره وخصائصه للأفراد، ولكنهم يتفقون على أن الانسجام من ضروريات المجتمع وهو أمرٌ حياتي إذ لايمكن لمجتمع الاستمرار والترابط من دونه. وعلينا أن نبحث عن السر في مفهوم الانسجام. جاء في معجم العلوم الاجتماعية: «الانسجام هو الشعور المتبادل بالمسؤولية بين عدة أفراد او مجموعات ويكون عن وعي وإرادة» وقد يشمل الروابط الإنسانية والأخوة بين البشر أو حتى الترابط المتقابل بين حياتهم ومصالحهم. وبحسب علم الاجتماع إن

الانسجام ظاهرة تؤدي إلى الترابط بين أفراد المجتمع الذي تجمعهم المصالح المتبادلة. على هذا الأساس إن الانسجام الاجتماعي هو أن الفريق أو المجموعة تحافظ على وحدتها وتحاول الانسجام والتكيف من خلال العناصر الموحدة"[١٥].

يعتقد دوركايم أن الانسجام الاجتماعي هو نوع من الانضباط الأخلاقي والاجتماعي الذاتي يتحد الأفراد فيه وينسجمون[١٦]. إن الوفاق والانسجام الاجتماعي لم يكن مورد اهتمام علماء الاجتماع حسب بل إن قادة المجتمعات والدول يعدونه أمراً مهماً ومرغوباً ويسعون بكل الطرق إلى تحقيقه في المجتمع؛ إن مؤلف كتاب (آناتومي جامعه)[١٧] يكتب عن هذه الطرق فيقول: إن أكثر طريقة رواجاً لمنع التفكك هو الضغط واستعمال القوة. إن هذه الطريقه غير نافعة كثيرا والانسجام الحاصل عنها لا يدوم كثيرا. لاتقل الحالات التي يقومون فيها بخلق عدو مشترك لإيجاد الوحدة والانسجام واجتناب الفرقة أو عن طريق تعزيز روح الوطنية من خلال المسابقات الرياضية [ولا سيما الجماعية منها ككرة القدم] أو عن طريق المذهب والدين. إن أكثر وسيلة مؤثرة في إيجاد الانسجام هي رفع مستوى الوعي في سبيل معرفة بالقيم الحقيقية[١٨].

أما ما العوامل المؤثرة في إيجاد الانسجام الاجتماعي فيؤكد دوركايم أهمية ((التعاون الاجتماعي)) وتالكوت بارسونز أهمية (تعادل القيم والمحيط) وزيمل وكوسير أهمية ((الكفاح والتنافس)) ومن بين المفكرين المسلمين يؤكد الفارابي أهمية المحبة ويكتب: «إن المحبة توجد الانسجام والعدالة تثبته وتقويه ويعتقد أن ((في المدينة الفاضلة تحصل المحبة من خلال الاشتراك في الفضائل والاشتراك في الفضائل ناتج عن العقائد والأعمال المشتركة. أما العقائد التي يجدر بأهل المدينة أن يشتركوا بها فهي:

أ. الاشتراك بالمبدأ.

ب. الاشتراك بالمقصد.

ج. الاشتراك فيما بين المبدأ والمقصد.

الاشتراك العقدي في المبدأ هو الاشتراك في أمور الباري تعالى. والاشتراك العقدي في المقصد هو الاتفاق بشأن السعادة. والاشتراك العقدي فيما بين المبدأ والمقصد هو الاشتراك في الأفعال التي توجب السعادة، فإذا اتفق أهل المدينة الفاضلة فكرياً، واكتمل هذا الاتفاق باتفاقهم في الأفعال، التي توجب السعادة، عندها ستحدث المحبة تلقائياً[١٩].

إن الخواجة نصيرالدين الطوسي كما الفارابي يرى المحبة هي التي تؤدي إلى الانسجام ويقول: «إن المحبة سبب في إيجاد المجتمع ووجود الترابط العاطفي أهم عنصر من عناصر إيجاد الانسجام الاجتماعي»[٢٠]. ويؤكد الأستاذ مصباح أهمية (العواطف والمشاعر) ويعتقد أن: «العواطف في المجتمع الإسلامي ناتجة عن العلاقات المتبادلة بين أفراد المجتمع في ظل الإيمان والاعتقاد بالله سبحانه والعمل بالأحكام والشريعه الدينية»[٢١].

لذلك إن أهمية الانسجام لايمكن إنكارها وهو أمر مرغوب وضروري لكل المجتمعات. وكلٌ يحاول بطريقته الخاصة أن يحصل عليه. وبنظرة إجمالية إلى تاريخ الشيعة، يمكن أن نرى بوضوح وحدة

الأمة الشيعية وانسجامها الفكري والعملي الفريد ويجب أن نعزو سبب ذلك إلى الثورة العاشورائية المذهلة.يقول خربوطلي: «إن شهادة الحسين عليه السلام في كربلاء هي أعظم حدث تاريخي أدى إلى تشكيل وبلورة الشيعة وظهورهم ككيان قوي وصاحب مبادئ ومكاتب سياسية ودينية مستقلة في الساحة الاجتماعية للإسلام آنـذاك»[٢٢]، ويقول نيكلسون في هذا السياق: «إن حادثة كربلاء جعلت الأمويين يشعرون بالندم والأسف إذ إن هذه الحادثة أدت إلى وحدة الشيعة وتوحيد الصفوف لأجل الانتقام للحسين عليه السلام ووصـل صوتهم إلى كل مكان ولا سيما في العراق وبين الإيرانيين))[٢٣] يقول (فيليب حقي): «إن فاجعة كربلاء نفخت الروح في كيان الشيعة وكانت سبب تعاليهم وازدياد أتباعهم»[٢٤].

إن زيارة سيد الشهداء تأتي في الدرجة الثانية إذ إنها لم تتوقف رغم كل الظروف وكانت مؤثرة في إيجاد هذا الانسجام. وهذه الحقيقة شهدها كل العالم بعد سقوط ديكتاتور العراق ولازال والمسيرة الأربعينية المليونية والعظيمة في السنوات الأخيرة شيء لايمكن إنكاره. بالطبع يجب الأخذ بالحسبان أن نشاطات الفاعلين تنقسم على قسمين:

أ. الوظائف الظاهرة: هي تلك الوظائف التي قد حُددت للفاعلين ويتوقع منهم الإتيان بها.

ب. الوظائف الباطنة:هي نتائج النشاطات التي لا يلتفت الناشطون إليها[٢٥].

إن لزيارة الإمـام الحسين عليه السلام وشهداء كربلاء (سـلام الله عليهم) وظيفتين: ظاهرة وباطنة، أما الوظائف الظاهرة فكثيرة نذكر منها: إحياء ذكرى الشهداء وإحياء الثقافة العاشورائية وإحياء ثقافة الإيثار والشهادة...؛ ولكن فضلاً عن هذه الوظائف التي يعلم الـزائـرون بها ويأتونها عن قصد،هناك وظائف باطنة والتي من أبرزها الأخوة والانسجام الجـماعـي والانـسـجـام الشيعي، بإمكان الأخـوة والانسجام أن يهيئ الأرضية لظهور منقذ العالم وأن يعبدا الطريق لإيجاد حكومة عالمية موحدة؛ وهي الآن تنشر المحبة والوئام بين الزائرين ومن يرتبط بهم وتجلب لهم الأمان النفسي والراحة المادية.إن هذه الحقيقة تظهر بوضوح خلال الأيام التي يسير فيها الزائرون نحو حرم الإمام الحسين وبإمكان الجميع مشاهدة العلاقة الجميلة بين الزائرين والمضيفين في حرم الأمن الأربعيني.

٢. إحياء القيم الإسلامية

لاشك أن من أهم آثار الثورة الحسينية العظيمة هي إحياء القيم الإنسانية التي هي من أهم حوائج المجتمع،و ذكر أن القيم أحد أهم عناصر الثقافة المؤثرة، والثقافة كمثل الهواء الذي يتنفسه المجتمع وإن كانت الثقافة في نظر علماء الاجتماع مدماك البناء الاجتماعي فإن القيم هي ملاطه إذ إن وعناصر الثقافة تتأثر مباشرة بالقيم،والقيم هي اعتقادات متجذرة يرجع إليها أفراد المجتمع، أو الجماعات عند مواجهتهم لأسئلة الخير والشر[٢٦].

من هنا فإن الفئات الاجتماعية تصاب بخلل في القول والعمل الاجتماعي من دونها، وحسب

دوركايم يحصل (التشتت). لأن القيم هي سراج هداية السلوك (القولي - العملي) ولايمكن للمجتمعات أن تتشكل أو تنسجم من دونها وبدهيٌ أنه إذا كانت القيم الموجودة في المجتمع قيماً دينية ستجلب القوة لأفراد ذلك المجتمع وستؤدي إلى استمرار الحياة الاجتماعية وذلك لأن القيم الدينية قيم ثابتة لاتتغير لكونها مستندة إلى الوحي ولن تجد لسنة الله تبديلاً ولاتحويلا خلاف القيم الاجتماعية المتزعزعة التي لا تحظى بذلك الثبات والدوام وذلك لأنها تستند إلى ميل المجتمع وهواه الذي سرعان ما يتغير الميل والهوى فتفقد القيم مكانتها عند العامة وأغلبية أفراد المجتمع وستأتي قيم أخرى لتحل مكانها.

بالطبع إن القيم الدينية لاتتعارض مع المجتمع وذلك عندما تكون هذه القيم مقبولة من الجميع وتكون الأساس لأعمالهم وسلوكهم. هذه القيم الاجتماعية المصطبغة بصبغة الدين تكون قيماً ثابتة إذ إنه لايمكن لأي قيمة اجتماعية أن تصبح بفاعلية القيمة الدينية ومن ثم ستريح المجتمع إذ إن القيم الاجتماعية تتبع ميول الأغلبية خلاف القيم الدينية التي قوامها الإنسانية وفي الثقافة الدينية يتساوى الأفراد في الحقوق الاجتماعية. من هنا فإن المجتمع الديني أبقى من غيره؛ ولا نعني بالمجتمع الديني ذلك المجتمع الذي لايحمل من الدين إلا إسمه، بل المجتمع الذي يلتزم القيم الدينية ويطبقها من دون عنصرية ومحسوبية.

من هنا فإن وجود القيم الدينية أمرٌ مهم وحيوي ومن البدهي أن إحياء هذه القيم سبب في ازدهار المجتمع ونشاط حياته الاجتماعية. بلا ريب إن أحد أهم نتائج الثورة العاشورائية إحياؤها للقيم الإسلامية والإنسانية ويستطيع المشتاقون الحسينيون من خلال زيارتهم لشهيد كربلاء على مدى السنة ولا سيما في الأربعين والذي يبرز فيه الجانب الاجتماعي أكثر أن يجسدوا هذه القيم.

في الفصول الآتية سنشير إلى نموذجين من هذه القيم الإنسانية الإسلامية.

أ. إحياء روح الإيثار والشهادة

إن تاريخ الحياة الاجتماعية للبشر خير شاهد على أن الإنسان منذ البداية يسعى إلى الخلود بشتى الطرق المتاحة له ولعل سر ذلك أن خالق هذا الوجود المليء بالأسرار هو وجود أزلي وأبدي والبشر لما كانوا خلقه فإنهم يميلون بفطرتهم إلى الاتصاف بصفات خالقهم فيصبحون خالدين مثله لذلك نشاهد في المجتمع الإنساني خوف الأفراد من الموت والفناء وسعيهم للحصول على الخلود والأبدية إلا أن بعضهم يسعى إلى الحفاظ على جسمه وبدنه بعضهم الآخر يسعى إلى حفظ اسمه وعنوانه في المجتمع.

أما الله سبحانه الخبير بهذا الميل الباطني للبشر فقد دلهم على طريق الخلود وهداهم إليه ومنحهم (الشهادة)، قال: «إن سر الخلود في الموت الأحمر» اختاروه فتكسبوا صفة (الحياة) يقول سبحانه: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[٢٧].

وإن نبي الرحمن فسر هذه الآية الكريمة ووسع

دائرة الشهادة قائلاً: «من قتل دون مظلمته فهو شهيد»[٢٨] سواء كان هذا الظلم على المال والعيال والجيران كقوله: «من قتل دون اهله ظلماً فهو شهيد، من قتل دون ماله ظلماً فهو شهيد" من قتل دون جاره فهو شهيد، ومن قتل فى ذات الله عزوجل فهو شهيد»[٢٩].

إن الشهادة في ثقافة الوحي قيمة لو تجسدت في المجتمع لما ازردي الحق في المجتمع؛ ولكان أفراد المجتمع يعيشون بسلام في حياتهم الاجتماعية التي هي الحاضنة التي يكتسبون من خلالها المعرفة والكمال والسعادة ويقيناً هذا أمر يرغب فيه كل طالب خلود. وإذا كان الإمام الخميني قال عن الشهداء أنهم شموع محافل البشرية، والشهيد مطهري عده كالشمعة التي تحترق لتنير المجتمع بأشعتها فهم يشيرون إلى هذه الحقيقة بلا شك. إن هذه القيمة تعد حيوية لأي مجتمع. إن الإمام الحسين عليه السلام بعلمه بالشهادة ولهذا الشوق اتجه نحو كربلاء ولم يخفِ عن الآخرين علمه هذا إذ إنه عندما أظهرت أم سلمة حزنها من سفر الإمام قال لها: «وإني والله لأعرف اليوم الذي أُقتل فيه، واعرف من يقتلني، وأعرف البقعة التي أدفن فيها، وإني أعرف من يقتل من أهل بيتي وقرابتي وشيعتي، وإن أردت يا أماه أريك حفرتي ومضجعي»[٣٠].

إن الإمام الحسين أعطى البشرية بشهادته درس الخلود ودلهم على الطريق، وبدمه الشريف كتب لأحرار العالم وصفة الحرية وأحيا هذه القيمة الإسلامية والإنسانية بعد عاشوراء. وإن الذين كانوا يخشون مواجهة عبيد الله بن زياد، وليد مرجانة ورضوا بالذل وخذلوا ابن الزهراء، لم يرضخوا للذل بعد شهادته وضيقوا الخناق على بني أمية من خلال ثوراتهم المثالية ولبسوا ثوب الشهادة كشهيد كربلاء.

أشخاص كعبد الله بن عفيف الأزدي ثار على عبيد الله بن زياد في مجلسه الذي أقامه للاحتفال واحتضن الشهادة بكل اعتزاز.

ينقل الشيخ المفيد أن ابن زياد جلس في قصر الإمارة بعد حادثة عاشوراء ودعا الناس للحضور وأحضر رأس الحسين عليه السلام (ولما وصل رأس الحسين عليه السلام ووصل ابن سعد -لعنه الله- من غد يوم وصوله ومعه بنات الحسين وأهله، جلس ابن زياد للناس في قصر الإمارة وأذن للناس إذنا عاما، وأمر بإحضار الرأس فوضع بين يديه، فجعل ينظر إليه ويتبسم وفي يده قضيب يضرب به ثناياه، وكان إلى جانبه زيد بن أرقم صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - وهو شيخ كبير - فلما رآه يضرب بالقضيب ثناياه قال له: ارفع قضيبك عن هاتين الشفتين، فوالله الذي لا إله غيره لقد رأيت شفتي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليهما ما لا أحصيه كثرة تقبلهما، ثم انتحب باكي، فقال له ابن زياد: أبكى الله عينيك، أتبكي لفتح الله؟ والله لولا أنك شيخ قد خرفت وذهب عقلك لضربت عنقك، فنهض زيد بن أرقم من بين يديه وصار إلى منزله[٣١].

بعد هذا الحديث الذي جرى بين ابن مرجانة وزيد بن أرقم أمر ابن زياد ان يدخلوا عليه أهل بيت الوحي فأراد أن يشمت بهم ويزيد من حزنهم بكلماته النابية وطعنات لسانه ولكن الصوت الزينبي والموقف الشجاع لعلي بن الحسين فضحاه فلم

يستطع الجلوس فقام من مجلسه إلى المسجد فواجهه في المسجد عبد الله بن عفيف الأزدي بجرأة لا ريب أنه حصل عليها بعد عاشوراء أدت إلى استشهاده. هكذا ينقلون لنا قصة شهادته: "قام من مجلسه حتى خرج من القصر، ودخل المسجد فصعد المنبر فقال: الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله، ونصر أمير المؤمنين يزيد وحزبه، وقتل الكذاب ابن الكذاب وشيعته. فقام إليه عبد الله بن عفيف الأزدي - وكان من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام - فقال: يا عدو الله، إن الكذاب أنت وأبوك، والذي ولاك وأبوه، يا ابن مرجانة، تقتل أولاد النبيين وتقوم على المنبر مقام الصديقين؟!

فقال ابن زياد: علي به؟ فأخذته الجلاوزة، فنادى بشعار الأزد، فاجتمع منهم سبعمائة رجل فانتزعوه من الجلاوزة، فلما كان الليل أرسل إليه ابن زياد من أخرجه من بيته، فضرب عنقه وصلبه في السبخة رحمه الله[٣٢].

لا شك أن هذا الثبات في وجهه ابن زياد الذي كان الجميع قد أذعن واستسلم له وهذا الشوق إلى الشهادة من الآثار المباركة لشهادة سيد الشهداء. وعانق سفير الروم الشهادة عندما عانق رأس مظلوم كربلاء؛ الموت الذي تحول بعد حادثة عاشوراء إلى سراج هداية للأحرار وشعاع يستظل به الثائرون على الظلم والطغيان. إن وجود هذه الروح في المجتمع لا تبقي باقية للظلم كما اقتلعت بني أمية من جذورها.

إن وجود هذه الروح المتجذرة في القيم الإلهية والإسلامية تحت عنوان الشهادة في أي مجتمع، تحرم النوم على كل طاغية وتسلبه الراحة وسيسعى الطغاة إلى ترويج حب الدنيا وطلب العافية إذ إنهم يعلمون لو أن هذه الصفات سادت في المجتمع فإن الأفراد سيشتغلون بالدنيا وتكديس الأموال فعندها تتهيئ الأرضية لبروز أنواع المفاسد في المجتمع.

بلا ريب إن المجتمع المتلوث سيصبح ساحة لتلاعب المتجاوزين والسارقين وسيهجمون من كل جانب ليسدوا طريق الكمال والسعادة على الأفراد وسيقومون باستخفافهم كما فعل فرعون ومن ثم يأسرونهم ويستعبدونهم كما يقول سبحانه في سوره زخرف ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ﴾.

ان زوار الأربعين منذ الأربعينية الأولى بعد استشهاد سيد الشهداء إلى يومنا هذا والتي أظهرت من خلال الجلال والعظمة الفريدة والمثالية التي تحلت بها وليس بالشعارات والكلام بل بالعمل والنشاط الاجتماعي للعالم جميعا.

أولاً: إن الوصفة الوحيدة الشافية لكل أمراض المجتمع في عصر التلون وسيطرة القوى الظالمة هي عمل ذلك الشهيد الذي كتب بدمه وبدم أصحابه يوم الطف هذه الوصفة لعشاق الحقيقة والحياة الإنسانية.

ثانياً: ان زوار الأربعين يسعون من خلال حركتهم من منازلهم من دون وجل ولا خوف على أنفسهم ورغم المشاكل التي تواجههم دائما كما شاهدنا في السنوات تهديدات الدواعش الذين لا يقلون في الدناءة والحقارة عن شمر وسنان والحكام الأمويين كافة أن يظهروا للعالم أن النسخة الحسينية

هي الوحيدة القادرة على شفاء الأمراض الاجتماعية لذلك اتخذوها سراجا ينير لهم ظلمات الطريق.

ب. أسوة الكفاح والمقاومة

إن كل فرد في المجتمع يسعى إلى اتخاذ أسوة يستطيع من خلال الاقتداء بها أن يصل إلى الحياة السعيدة التي يحلم بها. لذلك نرى الأفراد يتصرفون ويفكرون بالطريقة نفسها. بعبارة أخرى يتبعون القدوة السلوكية. إن الأسوة تصنع لتصبح نموذجا يقتدى به[٣٣].

نرى بعض الأحيان أن الإنسان بسبب قلة الوعي بالمعايير الصحيحة يختار الأسوة الخاطئة وتبعا لذلك تراه بدل الوصول إلى المطلوب تحصل له مشاكل كثيرة. إن الإسلام بوصفه المكتب الذي يضمن سعادة البشر دل أتباعه على المرجع: (أهل بيت الوحي).

وإن الشيعة تقدسهم بوصفهم أشخاصا مميزين وتقتدي بسلوكهم وأفعالهم.

ولما كانت المجتمعات تشهد صراعات دائمة فإن كل مجتمع يحتاج إلى أسوة تحدد له السلوك السوي وهي الأسوة نفسها التي يتحدث عنها علم الاجتماع: (إن الأشخاص الذين يعد الآخرون سلوكهم سلوك قيم يستحق التقليد او الأشخاص الصالحين الذين يجب التأسي بهم)[٣٤].

عندما يقول الإمام الحسين: (ولكم في أسوة) يشير إلى حقيقة أن الإمام الحسين أسوة حسنة وإن انتفاضته الدموية هي الأسوة التي يقتدي بها الأحرار.

إن الحركة الأربعينية على الرغم من التعتيم الإعلامي وحظر الحكام الظلمة، تستطيع أن توقظ الضمير البشري وتكون محركاً عظيماً لمواجهة الظلم والعدوان، وكما أن حادثة شهادة سيد الشهداء الأليمة استطاعت أن تلهم الحركات التي تلتها كقيام التوابين في الكوفة وثورة المدينة وثورة مطرف بن مغيرة وثورة زيد بن علي وغيرها؛ فإن زيارة الأربعين تستطيع كذلك أن تجلب الأنظار نحو كربلاء وسيد الشهداء وخريطة الطريق التي وضعها الحسين أمام البشر.

٣. ظهور القوة الناعمة للشيعة

إن تأكيد القوة الناعمة كانت مصحوبة بظهور تلك النظريات في العلاقات الدولية التي كانت تبتعد عن النظريات الكلاسيكية في هذا المجال. تؤكد مناهج الواقعية الجديدة أهمية إمكانات القوة الصلبة للدول ولا سيما الإمكانات العسكرية والنمو الاقتصادي. في قبال هذه النظريات فإن مناهج اللبرالية المؤسسية تؤكد أهمية أبعاد القوة الثقافية كالتجاذب الثقافي، والأيديولوجي والمؤسسات الدولية بوصفها المصدر الرئيس. إن استراتيجيات القوة الصلبة تؤكد أهمية التدخل العسكري والدبلوماسية القهرية والحصار الاقتصادي لأجل تسيير المصالح الوطنية التي تؤدي الى اتخاذ سياسات عدائية ضد دول الجوار. في المقابل تؤكد استراتيجيات الحرب الناعمة في سبيل الحصول على حلول مشتركة أهمية القيم السياسية المشتركة والأدوات السلمية لغرض إدارة المناقشات والتعاون الاقتصادي. إن مصدر القوة الناعمة في

كل بلد يرجع الى ثلاثة أمور: الثقافة والحقول الجذابة للآخرين والقيم السياسية (عندما تكون في الداخل والخارج بمستوى طموحهم) والسياسات الخارجية عندما تكون مشروعة وأخلاقية[٣٥].

بلا شك إن أحد أهم وظائف المسيرة الأربعينية بروز إظهار القوة الناعمة العظيمة للمجتمع الإسلامي ولا سيما الشيعة؛ بالطبع هذه الوظيفة الخفية تهيئ الأرضية لإقامة فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المهمة والأعداء قلقون من هذا العمل الاجتماعي والإلهي العظيم والخطير في المجتمع الإسلامي. إن حضور ٢٠ مليون زائر في هذه المسيرة هو تجلي للقوة الناعمة التي يخشى الغرب من تصويرها إذ إن حضور الناس يصعب عليهم أكثر من أي شيء آخر. وفي البلدان الغربية تراهم يسمحون لكل الفرق والأقليات الفكرية والثقافية بالنشاط إلّا الفكر العقلاني والأصيل للشيعة إذ إنهم يعلمون أن هذا الفكر يزلزل منظومتهم السيادية والتعتيم على هذه المسيرة العظيمة إنما يأتي في هذا السياق.

من وظائف المسيرة الأربعينية بروز شعار (الحسين يجمعنا) وإنتاج المفاهيم القيمية في المجتمع الإسلامي وإيجاد حشد عام وعمل اجتماعي إلهي وتعزيز القوة الناعمة للثورة الإسلامية ونزع مقدمات القوة عن الفكر العلماني وتعزيز الجانب القدسي.

على الرغم من أن علماء الاجتماع العلمانيين يسعون ولا سيما في السنوات الأخيرة أن يظهروا أن ظاهرة الأربعين الاجتماعية لا مكان لها في مناهج علم الاجتماع ويقسمون السلوك والعمل الاجتماعي على قسمين: **الأعمال والأهداف المادية او الحماسية** ويرون أنَّ كل شيء ينحصر في هذه الدنيا المادية لذلك يعدون الأعمال الإنسانية أعمالاً مادية تقتصر على هذا العالم لا أعمال تربط بعالم وراء هذا العالم. وجهة النظر التي تستقي جذورها من أفكار نيتشه والتي تعتقد أن الله سبحانه ميت. ولكن المؤلف حاول في هذه السطور بكل جهده أن يبرهن على أن التفاعل الأربعيني لعشاق سيد الشهداء عليه السلام في الحقيقة قد أبطل كل المناهج التى تستند إلى الفكر العلماني ونيتشة: إذن أحيت حركة الأربعين في هذه الدنيا الغارقة في مستنقع المادية صرخة أن الله حي. إن هذه الصرخة القولية والفعلية قد شككت في جميع مباني الفكر العلماني.

باعتقاد المؤلف إن زيارة الأربعين بوصفها حادثة تاريخية وزيارة جماعية تظهر على شكل مسيرة الأربعين بوصفها تفاعلا هادفا قد شككت في أصل علم الاجتماع العلماني: لذلك نرى بعض المحققين الاجتماعيين العلمانيين يقومون في مراكزهم العلمية والأكاديمية بترويج الفكرة القائلة إن هذه المراسم ليس لها مكان في أبحاث علم الاجتماع. في الواقع إنَّ علماء علم الاجتماع لعجزهم عن تحليل هذه الحادثة العظيمة ينكرون أصل الحدث.

تبين في هذا البحث أن أصل زيارة الأربعين بوصفها عنصرا معرفيا من عناصر الثقافة الشيعية والإسلام الأصيل قد أرسى قواعده الإمام العسكري عليه السلام والشيعة باتباعهم الطريق الرسمي الذي رسمه الأئمة المعصومون عليهم السلام وفي العقد

الأخير من خلال التفاعل الجماعي الذي أظهروه للعالم على شكل معيار اجتماعي عظيم قد جسدوا هذه القيمة المعرفية وأضفوا عليها طابعا سلوكيا ولكي يلتفت أولا القريب إلى الوظائف والإمكانات الفريدة لهذه الزيارة حتى يزيدوا من ثباتها وقوتها عاما بعد عام وثانيا ليعلم الأعداء والمستكبرون أن قوة الشيعة الناعمة هي قوة إلهية تستطيع أن تقض مضاجع الطغاة ويجد المشتاقون للحقيقة مصباح الطريق فيلزموا طريق السعادة.

إن أهم نقطة يجب أن لا نغفل عنها هو قدرة ثقافة الوحي الأصيلة على إيجاد حياة طيبة في هذا العالم، إذ إن عنصرا واحدا من عناصرها المعرفية يستطيع أن يغدق على العالم النعم المادية والمعنوية وسيتحلى الإنسان من حلاوة شهده فكيف إذا تجسدت كل عناصرها المعرفية؟ كيف سيكون وضع المجتمع الدنيوي والأخروي؟

المطلب الأخير هو تذكير للعلماء والواعظين أن الله سبحانه قد أخذ ميثاقهم على أن يبينوا ويروجوا القيم الوحيانية وأن يرووا أفراد المجتمع الاسلامي والعالمي من معين هذه القيم الإلهية. وتذكير لعشاق سيد الشهداء هو أولا: أن يتوجهوا إلى الفكر الحسيني ويبحثوا عن السعادة في ظل هذه الأفكار وثانيا: العمل بكل ما جاء به سيد الشهداء من تلك التعاليم الإسلامية الأصيلة.

الهوامش

(١) Levi Strauss.

(٢) استروس لوی؛ نژاد وتاریخ؛ ترجمه ابوالحسن نجفی؛ صص٦٣تا٦٧.

(٣) آیت الله مصباح یزدی؛ جامعه وتاریخ از دیدگاه قرآن؛ ص ٥٣.

(٤) آیة الله جوادی آملی، عبدالله؛ کراسة درس خارج الفقه؛ تقریر المؤلف

(٥) کامل الزیارات بخش ٤٦.

(٦) عاملی شیخ حر، وسائل الشیعه؛ ج ١٤، ص ٤٧٨.

(٧) شیخ مفید، المزار، ص٥٢.

(٨) شیخ طوسی تهذیب الاحکام، ج٦، ص٥٢.

(٩) شیخ طوسي، مصباح المتهجد، ج ٢، ص ٧٨٨.

(١٠) جولییوس گولد، فرهنگ علوم اجتماعی، ترجمه گروهی از مترجمان، ص ٦٣١ و٢٦٧.

(١١) آیت الله جوادی آملی، کوثر اربعین.

(١٢) کوئن بروس، درآمدی بر جامعه‌شناسی، ترجمه محسن ثلاثی، ص ٤٨.

(١٣) رفیع پور فرامرز،آناتومی جامعه؛ ص ٧٨

(١٤) ابوالفضل قاضی، حقوق اساسی ونهادهای سیاسی، ص ١٥١.

(١٥) آلن بیرو، فرهنگ علوم اجتماعی، ترجمه باقر ساروخانی، ص ٤٠٠.

(١٦) دورکیم امیل، دربارهٔ تقسیم کار اجتماعی، ترجمه باقر پرهام، ص ٧٣.

(١٧) التشریح الاجتماعي.

(١٨) رفیع‌پور، فرامرز، آناتومی جامعه، ص ١٤٩ ١٥٥.

(١٩) الفارابی، ابونصر، فصول منتزعه، ص ٧٠.

(٢٠) طوسی، خواجه نصیرالدین، اخلاق ناصری، مجتبی مینوی وعلیرضا حیدری، ص ٢٥٨.

(٢١) مصباح یزدی، محمد تقی، اخلاق در قرآن، ج ٣، ص ٩٤.

(٢٢) خربوطی، انقلاب‌های اسلامی، ترجمه: عبدالصاحب یادگاری، ص ٧٣.

(٢٣) حسن ابراهیم حسن، تاریخ سیاسی اسلام، ترجمه ابوالقاسم پاینده، ج ١، ص ٣٦٥.

(٢٤) حتی فیلیپ، تاریخ العرب، ج ٣، ص ٢٥١.

(٢٥) گیدنز آنتونی، جامعه‌شناسی، ترجمه منوچهر صبوری، ص ٧٤٩، نشر نی، ١٣٧٤.

(٢٦) کوئن بروس، درآمدی بر جامعه‌شناسی، ترجمه: محسن ثلاثی، ص ٤٨.

(٢٧) سورهٔ مبارکهٔ آل عمران، آیهٔ ١٦٩.

(٢٨) الحر العاملی، محمد بن الحسن، وسایل الشیعه، ج ١١، ص ٩٢.

(٢٩) متقی، حسام الدین، کنزالعمال، خ ١١٢٣٧.

(٣٠) موسوی مقرم، سید عبدالرزاق، چهر خونین حسین، ترجمه عزیز الله عطاردی، ص ٥٨.

(٣١) الارشاد، ص ٢٤٣.

(٣٢) نفس المصدر، ص ٢٤٤.

(٣٣) عبدالحسین نیک گهر، مبانی جامعه شناسی، ص ١٥٥.

(٣٤) بروس کوئن، مبانی جامعه‌شناسی، ترجمه واقتباس عباس توسلی ورضا فاضل، ص ٩٥.

(٣٥) قدرت نرم، مبانی وویژگی ها؛سایت تحلیلی الف؛٢٦ فروردین ١٣٨٦.

المصادر

١. استروس لوی؛ نژاد وتاریخ؛ ترجمة: ابوالحسن نجفی؛ انتشارات پژوهشکده علوم ارتباطی وتوسعه ایران؛ سال ١٣٥٨.

٢. آیت الله مصباح یزدی؛جامعه وتاریخ از دیدگاه قرآن؛نشر سازمان تبلیغات اسلامی، سال١٣٧٢

٣. آیت الله جوادی آملی، عبدالله؛جزوه درس خارج فقه؛به تقریر نگارنده

٤. ابن قولویه، کامل الزیارات، ترجمه امیر وکیلیان، دفتر انتشارت اسلامی حوزه علمیه قم، ١٣٩٩

٥. العاملی شیخ حر، وسائل الشیعه ج ١٤، (بی جا) منشورات مکتب اسلامیه(بی تا)

٦. شیخ مفید، المزار، قم، بیروت، انتشارات مدرسه امام المهدی ودیگران، ١٤٠٩

٧. شیخ طوسی، تهذیب الاحکام، بیروت، دارالتعارف للمطبوعات.

٨. شیخ طوسي، مصباح المتهجد، ج٢، تهران، المکتبه الاسلامیه للنشر والتوزیع، ١٤١١.

٩. جولییوس گولد، فرهنگ علوم اجتماعی، ترجمه گروهی از مترجمان، تهران، انتشارات مازیار، ١٣٧٦.

١٠. آیت الله جوادی آملی، کوثر اربعین، نشر اسراء، ١٣٩٧.

١١. حسن ابراهیم حسن، تاریخ سیاسی اسلام، ترجمه ابوالقاسم پاینده، ج ١، انتشارات جاویدان، ١٣٦٦.

١٢. کوئن بروس، درآمدی بر جامعه‌شناسی، ترجمه،

محسن ثلاثی، فرهنگ معاصر، ۱۳۷۰.

۱۳. رفیع پور فرامرز، آناتومی جامعه؛تهران، شرکت سهامی انتشار، سال۱۳۷۸.

١٤. ابوالفضل قاضی، حقوق اساسی ونهادهای سیاسی، تهران، انتشارات دانشگاه تهران ۱۳۸۰

١٥. آلن بیرو، فرهنگ علوم اجتماعی، ترجمه باقر ساروخانی، انتشارات کیهان، ۱۳۷۵.

١٦. دورکیم امیل، درباره تقسیم کار اجتماعی، ترجمه باقر پرهام، نشر کتابسرای بابل، ۱۳٦۹.

١٧. فارابی، ابونصر، فصول منتزعه، بیروت دارالمتشرق، ١٩٨٦م.

١٨. طوسی، خواجه نصیرالدین، اخلاق ناصری، مجتبی مینوی وعلیرضا حیدری، تهران، نشر خوارزمی، ۱۳٦۲.

١٩. مصباح یزدی، محمد تقی، اخلاق در قرآن، مؤسسه آموزشی وپژوهشی امام خمینی، ۱۳۷۸. خربوطی، انقلاب‌های اسلامی، ترجمه، عبدالصاحب یادگاری، کانون انتشاراتی چهره اسلام، ۱۳۵۷.

٢٠. حتی فیلیپ، تاریخ العرب، ج ۳، انتشارات دار غندوز، بیروت، ١٩٩٤.

٢١. گیدنز آنتونی، جامعه‌شناسی، ترجمه منوچهر صبوری، نشر نی، ١٣٧٤.

٢٢. کوئن بروس، درآمدی بر جامعه‌شناسی، ترجمه، محسن ثلاثی، فرهنگ معاصر، ۱۳۷۰.

٢٣. الحر العاملی، محمد بن الحسن، وسایل الشیعه، ج ۱۱، منشورات مکتبه الاسلامیه.(بی تا) (بی جا)

٢٤. متقی، حسام الدین، کنزالعمال، خ ۱۱۲۳۷، مؤسسه رسالت، بیروت، ١٩٨٩.

٢٥. موسوی مقرم، سید عبدالرزاق، چهر خونین حسین، ترجمه عزیز الله عطاردی، انتشارات جهان، ۱۳٦۸.

٢٦. شیخ مفید، ارشاد، ترجمه سید هاشم محلاتی، نشر موسسه آل البیت ١٤١٣.

٢٧. عبدالحسین نیک گهر، مبانی جامعه‌شناسی، تهران، انتشارات رایزن، ۱۳٦۹.